بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة : 14/01/2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعال**

سلسلة تربية الأبناء

الخطبة الثانية: مقدمات في تربية الأبناء

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته، فنحن في هذه الدار ممتحنون بالطاعة والمعصية، من لزم الطاعة وحافظ عليها نجا، ومن أصر على المعصية فحاله غير حال النجاة، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

ثم أستفتح بالذي هو خير :

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: 6].

- قال سيدنا علي ﷺ: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾: أي علموا أنفسكم وأهليكم الخير.
- وقال مقاتل: هي أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**))[1].

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**))[2].

هذه هي الخطبة الثانية في سلسلة: تربية الأبناء.

تحدثنا في الخطبة الماضية عن سبب اختيار هذه السلسلة (لماذا هذه السلسلة؟)، وعنوان خطبة اليوم:

مقدمات في تربية الأبناء

وتحوي هذه الخطبة أربعَ نقاط مهمة جداً في تربية الأبناء، جعلتها محور هذه الخطبة.

أولها: تربية الأبناء فرضٌ على الوالدين:

إن الأحكام التكليفية عند جمهور العلماء خمسة: فرض، وسنة، ومباح، ومكروه، وحرام.

والفرض: ما يثاب فاعله، ويعاقب تاركه، فصلاة الجمعة فرضٌ، وصلاة العصر فرضٌ، وصوم رمضان فرضٌ، وتربية الأبناء فرضٌ.

والدليل: قول الله تعالى: ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾، [التحريم: 6]، قوا: فعل أمر اتصل بواو الجماعة، من: [وقى، يقي، قِ]، وكل أمرٍ في القرآن يقتضي الوجوب، مالم يصرفه صارف.

قال مقاتل والضحاك – وهما من علماء التفسير-: (**حقٌ على المسلم أن يعلّم أهله ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه**)[3]، فكما وجب على الأب النفقةُ على الأبناء، وجب على الأب والأم بذلُ الجهد في تربية الأبناء.

-قال ابن القيم: (**وصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، فمن أهمل تربية ابنه ما ينفعه وتركه سدىً فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وتركِ تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً**).

---

[1] () متفق عليه (البخاري 6618، مسلم 203)، عن معقل بن يسار ﷺ.

[2] () رواه الترمذي برقم: 1875، عن عمرو بن سعيد بن العاص.

[3] () تفسير ابن كثير.

كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: (يا أبتِ، عققتني صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً).

-وقد سئل رجلٌ حُبِسَ ظلماً سنواتٍ طويلة: (ما أشد ما لقيت في السجن؟)، فقال: (فقدي لتربية أبنائي).

-صحيح أن المربين قالوا: ميمات التربية أربعة: المنزل، والمسجد، والمدرسة، والمجتمع، لكنَّ آكد هذه الأربعة إنما هو: المنزل – بركنيه: الأب والأم -.

-يقول أحد المربين، وقد أمضى أكثرَ من أربعين سنة في التعليم والتربية والتدريس: (لا يوجد تربية بغير أسرة، وإذا تخلت الأسرة عن التربية فلا يوجد تربية على وجه الأرض).

-فالتربية فرض على الوالدين، وهذه أول المقدمات المهمة جداً في التربية.

ثانيها: تربية الأبناء علم يحتاج إلى دراسة وسؤال أهل الاختصاص:

فليس الأب يولد عالماً بعلوم التربية وفنونها، وليست الأم لمجرد زواجها وإنجابها تصيرُ خبيرةً تربوية، بل التربية علمٌ يحتاج إلى دراسة وممارسة ومجالسة أهل الاختصاص وسؤالهم.

وما عليه أن يقرأ الوالدان كتاباً في التربية أو كتابين، وما عليه أن يحضرا مجالس علمٍ أو محاضرات أو دورات تُعْنَى بتربية الأبناء؟

وليس ينقص مقدارهما أن يتعلما ممن سبقوهما في ميدان التربية العملية، فربوا أبناءً ناجحين وبنات، يتعلما منهما الأساليب والوسائل التربوية.

لقد باتت الدول اليوم تؤسس كليات ومعاهد ومدارس للتربية، تخرج الاختصاصيين المؤهلين، وتحوي المكتبة العربية والعالمية آلاف الكتب والعناوين المعنية بالتربية.

وعلى سبيل المثال: تضم كلية التربية في جامعة دمشق اليوم ستةَ تخصصات على مستوى الإجازة، وثلاثة عشر اختصاصاً على مستوى الدراسات العليا، ويدرس الطالب لنيل الإجازة أربع سنوات أو خمس حسب تخصصه، ويدرس سنتين لنيل الماجستير، ثم يدرس سنوات لنيل الدكتوراه في التربية.

وهكذا فالتربية علم يحتاج إلى دراسة، وسؤال أهل الاختصاص.

وفي أثناء هذه السلسلة من الخطب ستمر بكم أسماءُ كتبٍ مفيدة في تربية الأبناء، لعلكم تقتنون واحداً منها أو أكثر تعينكم في تربية الأبناء.

بين يدي الآن كتاب مفيد في تربية الأبناء اسمه: **منهج التربية النبوية للطفل**، **مؤلفه: محمد نور سويد**، طبعته دار ابن كثير بدمشق، جاء الكتاب في أزيد من ثلاثين وأربعمائة صحيفة، ورجع فيه مؤلفه إلى أربعة عشر ومائة مرجع في علوم الشريعة والتربية.

قال في مقدمته – نقلاً عن أحد المفكرين –:

(إنني أؤمن بقوة المعرفة، أؤمن بقوة الثقافة، ولكني أؤمن أكثر بقوة التربية).

ثالثها: تربية الأبناء طريق تحتاج إلى صبرٍ وأناة:

فغارس فسيلة التين ينتظر أربع سنوات حتى يأكل منها، وغارس فسيلة الزيتون ربما انتظر سنواتٍ عشر حتى يجني شيئاً من ثمارها، يبذر ويسقي ويرفع الأعشاب الضارة من حولها، ويقلب التربة لتهويتها، ويُقَوِّم المائل منها، ويصبر لها وعليها حتى يجني منها ما يحب.

إن تربية النبات تحتاج إلى صبر، فما بالكم بتربية الإنسان؟!

ولأن صناعة الإنسان المبدع الصالح من أدق الصناعات وأخطرِها، وجب أن تكون من أجهد الصناعات، وأكثرِها حاجة للصبر، فصناعة الإنسان هي صنعة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام–.

– في سورة طه يقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾، [سورة طه: 132].

والاصطبار أشد من الصبر، لأن الزيادة المبنى دليل على زيادة المعنى – كما يقول أهل اللغة– في إشارة واضحة من القرآن الكريم على أن التربية طريق يحتاج إلى صبر طويل، وجهد كبير.

– كتب أحد المربين يقول: (إنه لابدَّ من ارتياد الطريق الطويل، المجهد الشاق، البطيء الثمرة، المستنفد للطاقة... طريق التربية).

رابعها وأخيرها: تربية الأبناء مهمة تحتاج إلى معونة الله.

فقبل أن تبذل أي جهدٍ في التربية، وفي أثناء ذلك الجهد وبعده، عليك بالالتجاء إلى الله تعالى، والتضرع إليه أن يصلح أبناءك في الدنيا والآخرة.

ففي القرآن الكريم دعاءٌ كثيرٌ للأبناء:

– فها هو سيدنا إبراهيم يضرع إلى الله تعالى بصلاح أولاده:

- ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾، [سورة الصافات:100].
- ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾، [سورة البقرة: 128].

– وهذا سيدنا زكريا يدعو لذريته:

- ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾، [سورة آل عمران: 38].
- ويقول: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) ﴾، [سورة مريم: 5-6].

– وفي سورة الفرقان في وصف عباد الرحمن:

- ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾، [سورة الفرقان: 74].

– كان بعض الآباء يكثر من صلاة الليل والسحر، والتضرع ففيهما والدعاء والالتجاء، فرآه يوماً ابنهُ، فقال: (أرآك يا أبتِ تكثر من صلاة الليل، فلِمّ؟).

فأجاب الأب: (من أجلك يا ولدي).

– فمهما استطعت أن تلجأ إلى الله تعالى وتجأر إليه بصلاح أولادك وأولاد المسلمين فافعل.

أيها الإخوة:

هذه هي المقدمات الأربع المهمة جداً في تربية الأبناء:

1. **تربية الأبناء فرض على الوالدين.**
2. **تربية الأبناء علم يحتاج إلى دراسة وسؤال أهل الاختصاص.**
3. **تربية الأبناء طريق تحتاج إلى صبرٍ وأناة.**
4. **تربية الأبناء مهمة تحتاج إلى معونة من الله تعالى.**

والحمد لله رب العالمين

والحمد لله رب العالمين